أية حال، جدّ كل من اليهود والعرب على حد سواء، قد عاش في الخليل بعد وفاة زوجته ساره في القرن الثامن عشر قبل الميلاد؛ فاعتبرها اليهود رمزاً «لأول أرض كانت لهم في ما يسمونه ' أرض ـ اسرائيل ' »؛ وكذلك بسبب تنصيب داوود ملكاً على اليهود في الخليل، واتخاذها عاصمة لملكه فترة من الزمن، قرابة العام ألف قبل الميلاد. ويعتقد كل من العرب المسلمين واليهود ان الحرم الابراهيمي أُقيم فوق ضريح ابراهيم وولده اسحق ويعقوب وزوجتيهما، ربيكا وليّا. وثلاثتهم، ابراهيم واسحق ويعقوب، أنبياء لدى المسلمين، ولهم مكانة قدسية خاصة لديهم لا تقل عمّا لدى اليهود تجاههم. ويزيد في حجة المسلمين، في هذا الصدد، ان الحرم الابراهيمي ظل مسجداً اسلامياً منذ استعاد المسلمون مدينة الخليل من أيدي الصليبيين العام ١٢٦٧ وحتى وقوعها تحت الاحتلال الاسرائيلي العام ١٩٦٧، أي سبعمئة سنة متواصلة. وخلال المدة التاريخية هذه، لم يكن يسمح لغير المسلمين بالوصول الى الحرم، أو أداء الشعائر الدينية غير الاسلامية فيه. ولم يتغيّر الأمر الّا بعد احتلال اسرائيل للضفة الفلسطينية، حيث سمحت لليهود بالصلاة في باحة الحرم، وخصّصت لهم غرفتين صغيرتين تضمّان ضريحي ابراهيم ويعقوب، وكذلك جزءاً من الصالة الرئيسة في الحرم وتضمّ قبر اسحق وربيكا[١٣].

الصدامات الأولى

تعرّضت الخليل، بسبب الاعتبارات الدينية والتاريخية التي ذكرنا، لاشكالات وصدامات دموية، بدأت في عشرينات القرن الحالي، ولم تنته حتى يومنا هذا. غير ان ما يهمّنا، في هذا المجال، ما حدث في العامين ١٩٢٠ و١٩٢٩، ممّا اعتبره اليهود مذابح نظّمت ضدهم، ودأبوا على استخدامها ذريعة لتبرير ما يقومون به من اعتداءات وهجمات دموية ضد سكان الخليل وجوارها من العرب، علماً بأن الطرفين، العربي واليهودي، دفعا ثمنين متقاربين الى حدّ كبير في عدد الضحايا، من قتلى وجرحى تلك الحوادث، بغض النظر عن المسبّبات الحقيقية، أو الاسباب العرضية، التي أدّت اليها.

صدامات العام ١٩٢٠

في نيسان (ابريل) ١٩٢٠، احتفلت القدس، كعادتها، بموسم النبي موسى، الذي كانت تشارك فيه وفود عدة تأتي من مختلف المدن الفلسطينية رافعة اعلام مواكبها. وبتاريخ الرابع من الشهر عينه، وصل القدس وفد مدينة الخليل للمشاركة في الاحتفالات والتوجّه، بعد المبيت، الى مقام النبي موسى قرب مدينة أريحا. وقد خرج أهالي القدس قاطبة من داخل سور المدينة لاستقبال الوفد عند باب الخليل. وتحوّل موكب المستقبلين والقادمين الى تظاهرة وطنية كبيرة هتفت بحياة الدول العربية، وبسقوط الانتداب البريطاني، ونددت بالهجرة اليهودية الى فلسطين[١٤]. وتجمّع المشاركون في الاحتفالات عند النادي العربي، حيث ألقى فيهم كل من رئيس بلدية القدس، موسى كاظم الحسيني، ورئيس المجلس الاسلامي الأعلى والهيئة العربية العليا، الحاج أمين الحسيني، وعارف العارف، وآخرون، خطباً سياسية ألهبت الحماس وفجّرت سخط الجماهير. وحدث ان وجّه بعض اليهود اهانات الى المسلمين المحتفلين فجّرت الموقف، ووقعت اشتباكات عدة بين الطرفين، العربي من جهة، واليهودي تسانده قوات الانتداب البريطاني من جهة أخرى. ولوحظ مشاركة عدد كبير من المسيحيين العرب في الاشتباكات هذه، ممّا ينفي وجود عوامل، أو اسباب، دينية، او طائفية، لها. استمرت الاشتباكات والصدامات طيلة اسبوع كامل، قتل بنتيجتها أربعة فلسطينيين عرب وخمسة من اليهود؛ واصيب بجروح مختلفة ٤٣٩ شخصاً، من بينهم ١١١ يهودياً وسبعة جنود بريطانيين؛ وأصدرت